مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، ص189– ص212 يونيو 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

"المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل"

د. جبر محمد الخطيب

أستاذ مساعد – جامعة اليرموك – قسم التاريخ

الأردن – إربد

ملخص: يسلط البحث الأضواء على منهجية عماد الدين خليل في دراسة التاريخ وتحليله من خلال مؤلفاته ومقالاته التاريخية، لا سيما منهجه في كتابة التاريخ الإسلامي، والمشروع الذي يدعو إليه لأسلمة علم التاريخ (التفسير الإسلامي)، وموقفه من الحركة الاستشراقية، وخطابه النقدي.

Historical perspective in the methodology of Imad Edding Khalil

Abstract: Research sheds light on the historical methodology of Dr. Imad Khalil in the study of history and analysis through his writings and historical essays, particularly in the writing of Islamic history , and his islamization of the science of history , Islamic interpretation of history , and his attitude toward orientalism

المقدمة:

كان للجهود والإسهامات، التي بذلت في إطار حركة أسلمة العلوم الإنسانية في الربع الأخير من القرن الماضي إلى الآن، دور في الحفاظ على الهوية الإسلامية والخروج من التبعية من خلال إصلاح الفكر والمنهج.

وبذلت جهود من قبل مفكرين وعلماء أدركوا الحاجة إلى تصحيح المنهج واصطلاح الفكر، وكان من بينهم أستاذ أكاديمي من العراق، وهو عماد الدين خليل، الذي ما زال يثري المكتبة العربية والإسلامية بمؤلفاته التاريخية و الإسلامية والأدبية، التي تتميز بعمقها وأصالتها وحداثتها، ولأن لحياته والبيئة التي تربى بها أثر على فكره؛ فلا بد من الحديث عن حياته العلمية باختصار حتى نستطيع أن نفهم فكره.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث بما كتب عن المنهج التاريخي، وأسلمة العلوم الإنسانية وبخاصة أسلمة علم التاريخ، والموقف من الحركة الاستشراقية. لذلك يسعى هذا البحث إلى الكشف عن منهج عماد الدين خليل للموضوعات المطروحة على الساحة العربية والإسلامية والمؤلفات والمقالات التي نشرت له والتي تم الاطلاع عليها. وقد جاءت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هو المنهج التاريخي الذي دعا اليه عماد الدين خليل ؟
- ما الدوافع التي دفعت خليل للمساهمة في مشروع أسلمة علم التاريخ ؟
- ما موقف خليل من الاستشراق، وما هي الانتقادات التي وجهها له ؟
- ما أسباب الاهتمام بهذا العلم في هذا الوقت ؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

أولا: التعرف إلى منهج عماد الدين خليل التاريخي، ومساهماته في أسلمة العلوم الإنسانية، وبخاصة علم التاريخ كونه متخصصا من الناحية الأكاديمية في هذا المجال.

ثانيا: بيان موقفه من الاستشراق، وأسباب الاهتمام به.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث لتسليط الضوء على فكر عماد الدين خليل.ومنهجه في الدراسات التاريخية،لأنه باحث ومتخصص في علم التاريخ؛ ونلاحظ أن الدراسات عن هذا العلم قد ركزت على فكره الإسلامي والأدبي، من أجل الالتقاء بين المتخصصين في العلوم الإنسانية وبخاصة الإسلامية والأدبية، وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وإزالة الشوائب التي علقت به، وإبراز أهمية علم التاريخ، في الدراسات الإنسانية، وفتح المجال للأكاديميين للمساهمة في هذا الموضوع؛ لأنه كما يؤكد خليل مشروع لم يكتمل بعد.

حدود البحث:

سوف يقتصر هذا البحث على الكتب والمقالات التي نشرت له وبخاصة التاريخية منها، وسوف ينظر من خلالها للمنهج الذي يسعى إليه.

منهج البحث:

سوف يتبع الباحث المنهج الاستقرائي، والتحليلي للمواضيع التي كتب بها عماد الدين خليل من خلال مؤلفاته، ومقالاته الموجودة في المواقع الإلكترونية، وبخاصة التاريخية منها، والإشارة إلى الاقتباسات التي تعكس فكره.

حياته وإنجازاته العلمية:

ولد عماد الدين خليل في مدينة الموصل في العراق عام 1939م، وأنهى المرحلة المدرسية فيها، ثم التحق بجامعة بغداد وحصل على درجة البكالوريوس في التاريخ سنة 1962م،

والماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة نفسها عام 1965 م [1]، ثم التحق بجامعة عين شمس في مصر، وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي 1968م [2]. واستمر في متابعة دراسته العليا ولم ينقطع عنها.

عمل عماد الدين خليل في التدريس الجامعي في جامعة الموصل وتدرج في العمل الأكاديمي حتى حصل على رتبة أستاذ عام 1989م، وتنقل في التدريس الجامعي في عدد من الجامعات العربية والإسلامية [3]. حتى تقاعد من العمل الأكاديمي عام 2005م.

لعماد الدين إنتاج علمي وفير. فقد كتب في التاريخ، والفكر الإسلامي، والأدب الإسلامي، وشارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية في العديد من البلدان العربية والإسلامية والأوروبية، واشترك مع بعض الأكاديميين في صياغة مناهج التاريخ لعدد من الجامعات، وساهم في إنجاز العديد من المواد العلمية التاريخية. وأشرف على العديد من طلبة الدراسات العليا في تخصص التاريخ الإسلامي، والحضارة، والفكر، والآداب للموسوعات العربية والإسلامية [4]. ونظراً لمكانة خليل العلمية والفكرية، فقد كتب عن أعماله رسائل علمية[5] وترجمت له بعض المؤلفات إلى اللغات الأجنبية.

---

(1) تخصص عماد الدين خليل في التاريخ الإسلامي في رسالة الماجستير الموسومة " عماد الدين زنكي" (487- 541هـ / 1097- 1410م) جامعة بغداد 1965م، ونشرت في الدار العربية، بيروت، 1971م.

(2) تخصص في التاريخ الإسلامي في أطروحته الدكتوراه الموسومة " الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام (465 – 813 هـ / 1072 – 1410م) 1968م، ونشرت من قبل مؤسسة الرسالة،بيروت،1980م.

(3) الجامعات التي عمل فيها: جامعة الموصل، كليه الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، جامعة الزرقاء الخاصة الأردن، جامعة اليرموك الأردن.

(4) من الموسوعات التي ساهم في إنجازها: موسوعة دار الشروق، القاهرة، والموسوعة العلمية المتطورة في مدريد، وموسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية في القاهرة، وموسوعة الوقف التركية في اسطنبول، والموسوعة الدينية في بيروت.

(5) مثلاً كتب عن مؤلفاته أطروحة دكتوراه في جامعة الحسن الثاني، المملكة المغربية ونوقشت في سنة 1996م للطالب سعيد الغزاوي والموسومة (المداولة في أدب عماد الدين خليل: قراءة وتركيب للتأويل والتمثيل)، ورسالة ماجستير في اللغة العربية للطالب حمد الله محمد

ولعله من غير الممكن أن يكتمل الحديث عن جهود خليل العلمية، إذ إنه ما زال في أوج العطاء العلمي والفكري؛ لأنه قدوة للشباب المسلم في العالم العربي والإسلامي؛ ولأنه مضرب المثل في الصبر والإبداع والعطاء.

وسوف يقتصر الحديث عن هذا العالم من خلال مؤلفاته التاريخية، حتى تتمكن الدراسة من قراءة منهجه العلمي للتاريخ العام والتاريخ الإسلامي بوجه الخصوص، فهو عبارة عن مدرسة تدعو إلى إعادة كتابة التاريخ وبخاصة تاريخنا العربي والإسلامي.

منهجه في كتابه التاريخ:

يبدو أن أهم ما يميز عماد الدين خليل مؤلفاته، وبخاصة التاريخية منها، فهو كما أشرنا سابقاً باحث ومؤرخ أكاديمي متخصص في التاريخ الإسلامي.

إن الهدف من دراسة التاريخ – كما يطرحه خليل – هو من أجل " أن يبعث في نفوس الناس الفهم الصحيح لما يحيط بهم من قوانين وسنن وأحداث، سبقوها أو عاصروها أو ستجيء فيما بعد، وأن يفجر فيهم الرغبة في الحركة، والسعي الجاد لإعادة توجيه القوانين والعلاقات والأحداث وفق منطق المعمار الكوني القائم على التوافق والانسجام" [6]، فالهدف من دراسة التاريخ على حد تعبيره أن يدفع الناس إلى الحركة والعطاء بالاعتماد على الماضي والاستفادة منه للحاضر والمستقبل ومنهجه في دراسة التاريخ من أجل الحركة ولذلك فهو يرفض المنهج الذي يسعى إلى إبقاء التاريخ ميتاً من خلال جعله" سردا ميتاً للأحداث وتجميعاً آلياً للنصوص، ونظرات مبعثرة للوقائع التي لا يشدها خيط، ولا يضمها إطار " [7].

صالح كناني الموسومة " المسرحية الإسلامية المعاصرة عماد الدين خليل نموذجا" ، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2008م

[6] عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1985 م، ص 5، وللمزيد حول الهدف من التاريخ انظر،،شوقي جمل، علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، مكتبة الانجلو، القاهرة، 2010م، Carr ,E,H, What is , Penguin Book, London , 1981 History

[7] عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص 10.

ومنهج خليل وفقاً لذلك منهج متجدد يدعو إلى الإبداع والعطاء من أجل " حشد الطاقات وتجميعها والتنسيق بين معطياتها، لكي تصب في الهدف الواحد، فتكون أغنى فاعلية وأكثر قدرة على التجدد والإبداع والعطاء" [8].

ويؤكد خليل أننا بحاجة إلى منهج جديد، وبخاصة في هذا الوقت، من أجل أن يكون نبراساً لكل باحث للحفاظ على ثقافتنا وخصوصيتنا، ومن أجل التفوق على الخصوم وإبراز ثقافتنا ونبذ ثقافة الخصم " باطراح دمها الأزرق الفاسد والتمثل بدمها القاني النظيف" [9]، ومن دون هذا المنهج الجديد، فإن جهودنا سوف تتشتت وتحدث تصادما بين ثقافتنا.

ويندفع عماد الدين في هذا المنهج ليس من أجل التنظير، بل للتطبيق، ولذلك يدعو كل مؤرخ مسلم من أجل "بلورة منهج متميز في كتابه تاريخنا هذا نظراً وتطبيقاً" [10]. وهذا المنهج الذي يدعو له خليل هو منهج شمولي، وينظر إلى دراسة التاريخ بنظره شمولية،حتى يكون نسيجه متوحداً ويتجاوز التضارب والتفتت في المعطيات[11].

ورؤية عماد الدين خليل هي رؤية موحدة للتاريخ، لذلك يرفض أن يكون المؤرخ محصوراً في التفاصيل والجزئيات؛ لأن ذلك يفقده فهمه [12]، فهو في ذلك يتجاوز المنهج التفكيكي من أجل المحافظة على ديمومته [13]. وخليل ينتقد الصيغ القديمة في عرض تاريخنا، كما كان يعرض على أنه مسرح لعمليات عسكرية، أو مناورات سياسية أو تبدلات دورية في الأسر الحاكمة، كما يقوم هذا المنهج الذي يدعو له على عدم التشنج إزاء ما يطرحه الخصوم في مجرى هذا التاريخ [14].

---

[8] المرجع نفسه، ص 10.

[9] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، قطر، ط1، 1986 م، ص 10.

[10] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ، ص 10.

[11] عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، مطبعة الزهراء، الموصل، 1985، ص 6.

[12] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ، ص 115.

[13] عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي، ص 12- 14.

[14] عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2005م، ص 19.

وحسب هذا المنهج الذي تبناه خليل، فإننا بحاجة إلى المؤرخين البنائين الـذين يملكـون الحس النقدي أكثر من أن يكونوا مجرد ناقدين [15]، ويطالب المؤرخ الانتقال مـن الشـكل إلـى المعنى واستثارة الفكر والوجدان وأن يقوم تفسيره على الشمولية لما يحيط بالإنسان، ويطالبه بهدم الجدران لكي " يحيل التاريخ إلى عملية حيوية ويخلصه من التجريـد، وأن يـدخل إلـى صـميم الحدث، لا أن يقف خارج الأسوار وينظر من بعيد"[16].

ويهدف خليل من منهجه إلى تحطيم القيود الأكاديمية التي أسرت المؤرخ على حد تعبيره، ويطالب المؤرخ أن يكون فنانا، وليس مجرد مؤرخ، ويعقد بين الاثنين موازنة فيقول:

"المؤرخ يؤكد على الأجزاء وعلى تضخيمها حتى تستميل على يديه إلى شـيء ثقيـل واسع يحتل كل مساحات الرؤية التاريخية، وكأنه لا شيء هناك سوى ما نقلـه إلينـا... اقتطافـاً تعسفياً" وأما المؤرخ الفنان –على حد تعبيره – فهو الذي " يسعى للبحث في أعماله عن كـل الارتباطات الظاهرة والخفية بين سائر ما يعرضه علينا التاريخ من وقائع ومعطيات" [17]، وهـو في ذلك يدعو المؤرخ للاستفادة من العلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة علم التاريخ، وهو يتفـق في هذا السياق مع ابن خلدون [18].

وبما أن للمنهج دوراً كبيراً وخطيراً في حركة الإنسان الفكرية والحضارية، فإن خليـل يؤكد على أننا بحاجة إلى منهج، إذ – بدونه– ليس ثمة طريق يوصل إلى الحدث مهما بذل مـن جهد. ويعرف المنهج فيقول: " هو طرائق العمل الاسـتراتيجي المبـرمج المـنظم المرسـوم... وحينذاك فقط يمكن أن نطمح، ليس فقط إلى تأصيل ذاتنا الثقافية، وتحصينها ضد عوامل التفكـك والغياب والدمار.... بل إلى التفوق على ثقافة الخصم". والهدف من هذا المـنهج – كمـا يـراه عماد الدين خليل– هو تجميع الطاقات "والتنسيق بين معطياتها لكي تصب فـي الهـدف الواحـد

---

[15] عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي، فصول في المنهج والتحليل، دار ابن كثير، دمشـق، 2005م، ص6.

[16] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص 16.

[17] عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي، ص 10.

[18] يقول ابن خلدون " اعلم أن فن التاريخ فن غزير المذاهب، جم الفوائد شريف الغاية،..... أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال "، حول ذلك انظر: ابن خلـدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم،بيروت، ط6، 1986م، ص3–9.

"[19]،ومن غير ذلك، فإن الجهد في هذا المجال يعد بعثرة للطاقات.ويطالب المؤرخ بالموضوعية بالاعتماد على الواقعة نفسها دون تكوين موقف مسبق [20].

ويتخذ عماد الدين خليل في بعض مؤلفاته التاريخية منهجا معينا، وذلك باعتماده طريقتين للعرض، إما اختيار مسألة واحدة، يستعرضها من حيث التحليل والمناقشة، وإما أن يطرح عددا من القضايا موزعة على مساحات في التاريخ الإسلامي[21]. ونستدل من قراءة مؤلفاته على فكره الوحدوي لتعزيز الوحدة الإسلامية؛ فعلى الرغم من وجود تعددية وتنوع، فإنه يعد الوحدة والتنوع متلازمتين لا تناقض بينهما في جميع العلاقات البشرية؛ لأن الوحدة هي ميزة الإسلام، " فإن التوجه الوحدوي للأمة الإسلامية، على مستوى القواعد والتيارات ليس مجرد خصيصة من خصائصها، بل هو محرك أساسي لمساحات واسعة في تحققها التاريخي"[22].

ويرى خليل أنه من غير الممكن أن نطبق منهجا واحدا على تاريخ الأمم جميعا؛ لأنه ليس قالباً جامداً ولا معياراً ثابتاً لكل الأمم والشعوب،فما يمكن أن يطبق على التاريخ الأوروبي لا يصلح أن يطبق على التاريخ الإسلامي[23].

ولأن مادة التاريخ من أهم وسائل التثقيف في الجامعات، فإنه يدعو في منهجه إلى أن يكون الهدف من تدريسه هو قدرة الطالب على" استقراء الظواهر والأحداث، وتحليلها ومقارنة بعضها ببعض، وإدراك طبيعة السنن والقوانين"[24]حتى يكون الطالب قادرا على التحليل والمقارنة، وربط الجزئيات في أطر كلية، ويكون قادرا على الاطلاع على مساحات واسعة في حقول المعرفة الإنسانية، فالإنسان خلق لكي يضع مصيره بنفسه لا المعجزة ثابتة من السماء،

---

[19] عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي، ص 11.

[20] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ، ص11.

[21] المرجع نفسه، ص 121.

[22] انظر حول ذلك، عماد الدين خليل، دراسات تاريخية، دار ابن كثير، دمشق، 2005م، وكذلك عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي مواقف دراسات.

[23]عماد الدين خليل، الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، دار الفكر، دمشق ، 2002م، ص 14.

[24]عماد الدين خليل، ريبورتاج.. حوار في الهموم الإسلامية، دار الحكمة، لندن، 2002م، ص 9-10.

فالإنسان قادر على أن يسير في هذا الاتجاه لصياغة عالم يليق به [25]، فهو ينظر للتاريخ كصنيعة بشرية وليس وفق نظرية المشيئة الإلهية.

ويطالب عماد الدين خليل الجامعات لتخصيص محاضرات لتدريس علم الجرح والتعديل من أجل غرس الاعتزاز بتاريخنا الإسلامي الذي ينفرد دون غيره بهذه الدقة والتمحيص ومن أجل تعويد الطالب على عدم التسليم بكل ما يعرض له على أنه صحيح ، وعدد أخر من المحاضرات لتحليل النصوص التاريخية لتمكين الطالب على البحث ، والتحليل والتمرس على البحث العلمي بالرجوع إلى المصادر الأولية لفهم التاريخ، وعدم الوقوع في أخطاء كتلك التي وقع بها المستشرقين نتيجة لعدم فهم بعض الكلمات [26]. ويدعو إلى منهج شامل في دراسة الحضارة الإسلامية للطالب خلال أربع سنوات ضمن مساقات : أصول الحضارة ، ونمو الحضارة ، وتدهور الحضارة، وواقع الحضارة ومستقبلها.

كما يدعو إلى تطبيق منهج إسلامي دقيق يمتلك من الإمكانات ما يستطيع بها أن يتوغل إلى هذا التاريخ، ويستنبط معناها ، ويحدد معالم التاريخ الرئيسية وكما يقول: " ففي هذا التاريخ نجد قوى المادة والروح، والطبيعة والغيب ، والتراب والحركة، والقدرة والحرية" وأي منهج لا يأخذ بهذه العوامل فهو منهج قاصر من شانه أن يغفل أحد هذه العوامل ، وسيؤدي إلى فهم ناقص[27].

ويؤكد عماد الدين خليل في منهجه على الربط بين الأصالة والمعاصرة من خلال اتباعه منهجا عدلا، "يتعامل مع معطيات الأجداد بروح عملية مخلصة، فيقبل ما يمكن تقبله، ويرفض ما لا يحتمل القبول ويقدر عطاء الرواد" فيدعو إلى موقف وسط " يرفض الاستسلام للرواية القديمة ويأبى إلغاءها المجاني من الحساب، رؤية موضوعية تستحضر البيئة التي تخلقت في أحضانها وقائع التاريخ الإسلامي" منهج تاريخي يقوم على الإفادة من العلوم المساعدة كافة من أجل فهم هذه البيئة من خلال معادلة لما يقول "تاريخ الطبري.... والكمبيوتر" [28].

---

[25] عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي، ص 185.

[26] عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي، ص 186-189 .

[27] عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي ، ص 185.

[28] عماد الدين خليل، مؤشرات إسلامية في زمن السرعة، دار الأنبار، بغداد، 1989م، ص 176.

ومنهج عماد الدين خليل يقوم على التواضع وفي هذا السياق يقول : " إن هذه الكتابات كافة، والتي مضت لكي تقارب الثمانيين مؤلفا عددا ، على مدى خمسين عاما من العمل شبه المتواصل ، ليست وحدها في الميدان ... ليست حالة فريدة ... وإنما هي حلقة متواضعة سبقتها وزامنتها ، وستعقبها حلقات من المفكرين والباحثين " [29].

ويعد عماد الدين خليل من المهتمين في أسلمة العلوم وله باع طويل في أسلمة علم التاريخ.

التفسير الإسلامي للتاريخ (أسلمة علم التاريخ):

إن الإسلام منذ الوهلة الأولى لا يعدج الإنسان مجرد كائن حي، بل يضعه في منزلة رفيعة هي خلافة الله على الأرض.والآيات في القران الكريم تبين أن كل ما هو موجود في هذا الكون إنما هو لكي ينتفع به الإنسان. [30].

ولذلك ظهر جيل جديد من المفكرين الإسلاميين منهم من نادى بأسلمة العلوم الإنسانية[31]، ويعد عماد الدين خليل من بين هؤلاء؛ فقد وضع رؤية في هذا المجال من خلال تعريفه (لأسلمة المعرفة)، فهي كما يقول: "ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعاً وتوصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان" [32]. وفي هذا السياق فإنه يؤكد على

---

[29]عماد الدين خليل، تأملات في الكتابة والإبداع ، مجلة الأدب الإسلامي ، العدد 69، 2011م،ص 23.

[30] محمد قطب، حول التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشرق، القاهرة،ط1، 2006م، ص12.

[31] من أبرز هؤلاء: الندوي في الهند، والمودودي في باكستان، والسباعي في سوريا، والجسر في لبنان، ومالك بن نبي في الجزائر، وسيد قطب، ومحمد قطب والقرضاوي في مصر، والنورسي في تركيا، ومحمد أسد النمساوي، وروجيه غارودي في فرنسا. حول أسلمة المعرفة انظر، عثمان عبد القادر، أسلمة العلوم الإنسانية، دار الكتاب العربي، بيروت،1993م، محمد أبو القاسم حاج حمد، منهجية القران المعرفية أسلمة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت،2003م.

[32] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص 137- 138، وحول العلوم المساعدة للتاريخ انظر، حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ وأهميته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل العرب وأعلام كل مدرسه وبحث في فلسفة التاريخ ومداخل إلى فقه التاريخ، دار المعارف، القاهرة، 1984م.

أن العلوم الإنسانية قابلة للأسلمة بحكم توجهها الإنساني. وسوف نركز في البحث على جهوده في أسلمة علم التاريخ تاركين جهوده في أسلمة العلوم الأخرى للمختصين في الأدب والفكر الإسلامي.

وبما أن علم التاريخ من العلوم الإنسانية، فإن خليل يدعو إلى أسلمة هذا العلم، وبدا بالتنظير لذلك من خلال كتابه (التفسير الإسلامي للتاريخ)، الذي نشر في هذا المجال [33]، والأسباب التي دعته للاتجاه في هذا المجال بعد أن شهدت المكتبات كماً ونوعاً في الكتابات التاريخية، وبخاصة في التاريخ الإسلامي، ولذلك فهو يدعو إلى أسلمة علم التاريخ حتى يستطيع المؤرخ الدخول إلى مسالكه وأبوابه ولا يترك أي مساحة فيه دون النظر إليها من المنظار الإسلامي، سواء على مستوى المنهج أو الموضوع، ويطالب المؤرخ "أن يشمر عن ساعد الجد، لكي يكون قديراً على احتواء الموجة ما وسعه الجهد، وتوظيفها في دائرة أسلمة المعرفة التاريخية" [34].

ولذلك، فإن خليل يسعى من خلال كتاباته إلى تطبيق منهج إسلامي في دراسة التاريخ الإسلامي؛ لأنه يختلف عن غيره، فهو" ينبثق من دين عظيم، ومن حضارة يبعثها لقاء خلاق بين قوى السماء والأرض" [35].

ولذلك فإن خصائص التفسير الإسلامي للتاريخ كما يرى عماد الدين خليل تقوم على الآتي : [36]

1- المرونة وعدم التأزم المذهبي فيتميز الموقف الإسلامي من التاريخ بمرونته وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبي.

---

[33] عماد الدين خليل، مدخل إلى أسلمة المعرفة مع مخطط مقترح لأسلمة علم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا،1991م، ص 15، 23.

[34] عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت 1975م، والبحث الذي نشره "في التفسير الإسلامي للتاريخ" مجلة المسلم المعاصر، بيروت، العدد 1، 2، 1975م

[35] عماد الدين خليل، الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، ص 227- 228.

[36] عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص116-241.

2- إن رؤية التفسير الإسلامي للأحداث روية واقعية شاملة؛ لأنه يستمد من رؤية الله التي تعلو على الزمان والمكان ، وينظر بانفتاح تام إلى الأحداث ويسلط الأضواء على مساحتها جميعا .

3- إن التفسير الإسلامي مذهب منبثق وفق أسلوب موضوعي عما حدث فعلا وعن طبيعة التصميم التاريخي للبشرية يصوغها القرآن الكريم والسنة الشريفة في مبادئ عامة يسمونها سننا ينبغي أن يعتمدها المفسرون الإسلاميون منطلقا.

4- ينفتح التفسير الإسلامي للتاريخ على كافة القوى الفاعلة في الحركة التاريخية.

ومن هذه المنطلقات ينطلق عماد الدين في تفسيره للتاريخ ويوضح المسوغات لذلك.

فالأمة لم يتكون تاريخها إلا بمجيء الإسلام، ضمن إطار العقيدة والحضارة، لذلك، فإن أي تفسير يستبعد الدين، بوصفه منهجاً للتفسير أو إطاراً لها، فإن هذا التفسير محكوم عليه بالفشل، وقد " أخطأ كثير من المؤرخين في فهم وحدة هذا التاريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة، أخطاوا لأنهم نظروا إلى هذا التاريخ نظرة تتسم بالتجزئية والمباشرة والتقطع حيناً، دون أن يأخذا وينظروا لاعتبار حركة المجتمع الإسلامي ووحدته وصيرورته، التي كانت تجد في قيم الإسلام ومبادئه ومثله، مركز نقلها وضبطها ومؤشرات تمخضها الدائم عن المزيد من الوقائع والأحداث" [37].

والمسوغات التي يطرحها عماد الدين خليل من أجل أسلمة هذا العلم تعتمد على القرآن الكريم، الذي خصصت مساحة كبيرة من سوره للمسألة التاريخية، بين العرض المباشر والسرد القصصي للمجتمعات البشرية وبين السنن التاريخية التي تحكم الجماعات، وموقف الإنسان المتغير من الطبيعة، فالرؤية التاريخية ترتبط بناء على ذلك بالقرآن الكريم. ولذلك فالتفسير الإسلامي لتاريخنا يعد" أمراً محتماً ما دام كتاب الله يعزف دوماً على هذا الوتر الحساس"[38].

ويؤكد عماد الدين خليل أن القرآن الكريم يطرح مسألة الارتباط المحتوم بين المقدمات والنتائج في مجرى الوقائع التاريخية؛ لأن التاريخ لا يتحرك على غير هدى،و" أن حركة التاريخ لا تسير عبثاً، وإنما تحكمها سنن ونواميس وقوانين ترتب المصائر على اجتماع حسب من الوقائع والأحداث، وتجعل من يوجه الفعل التاريخي بهذا الاتجاه أو ذاك أمراً محتوماً" [39].

---

[37]عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل، ص 185.

[38]عماد الدين خليل، مدخل إلى دراسة إسلامية المعرفة، ص 63.

[39]عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص5.

وبما أن الإنسان مخير في هذه الحياة، وبعد أن بعث الله الرسل لهدايته، فإن هذه الحرية تقف على طريقين:"إما أن تكون مواقفنا وأهدافنا منسجمة مع نواميس الكون وسنن الحياة، مما يترتب عليها إنجاز حضاري أغنى وتوحد بشري أشمل، وسعادة نفسية أكثر عمقاً، ومصيراً في الأرض أشد توافقاً مع مهمة الوجود البشري في الأرض، وإما تصادم هذه المواقف والأعمال، والأهداف مع نواميس الكون وسنن الحياة، فيترتب عليها إنجاز حضاري مفكك" [40].

ويؤكد خليل بأن القرآن الكريم أراد أن يوظف هذا التاريخ لصالح النشاط الإنساني لتعزيز الحاضر واستشراف المستقبل ؛ فالله_ سبحانه وتعالى_ قد خص الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [41]، وكقوله:﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [42]. وبما أن الإنسان خليفة الله في الأرض، فقد بعثه لتطويرها وأعمارها من أجل إيجاد حياة مستقرة ومطمئنة، فما على الإنسان إلا أن يتقيد بهذه السنن والقوانين من أجل السعادة في الدنيا والآخرة[43].

ويؤكد عماد الدين ذلك بقوله: " فمطالعة الآيات والمقاطع الخاصة بخلق الكون وتهيئة الظروف الصالحة للحياة على الأرض، وتمعنا فيها وجدناها ترتبط عضوياً أصيلاً بالدور المنتظر الذي بعث الإنسان لكي يلعبه" [44].

فالتفسير الإسلامي – كما يؤكد خليل – تفسير واقعي ينظر بانفتاح على الأحداث؛ لأنه " يستمد من رؤية الله التي تعلو على المكان والزمان وتتجاوز مواضعات العصر النسبية، فإنه ينظر بانفتاح تام إلى الأحداث، ويسلط الأضواء على مساحاتها جميعاً، يعترف بالتمايز القومي،

---

[40] عماد الدين خليل، المنظور التاريخي في فكر سيد قطب، دار القلم، دمشق، 1994، ص 23، مدخل إلى الحضارة الإسلامية المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005م، ص 24– 29.

[41] عماد الدين خليل، في التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة المسلم المعاصر العدد 1، 2، ص 18.

[42] القرآن الكريم، سورة الإسراء الآية 70.

[43] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 29.

[44] عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 30، تهافت العلمانية، مؤسسة الرسالة، بيروت،1981م، ص48.

ويعطي لهذا العامل الوضعي حجمه الحقيقي رغم نزعة الإسلام العالمية واستعلائه على الكيانات المحدودة المنغلقة على الإقليم أو اللون أو الجنس" [45].

والتفسير الإسلامي تفسير يتميز بالمرونة، وبعده عن التوتر أو التأزم المذهبي[46]، فالمشروع الذي يطرحه خليل مشروع ينظر إلى التاريخ بمنظار إسلامي من حيث "بناء المعطيات الإسلامية ابتداء وقبول أو رفض أو انتقاء مفردات الأطر في ضوء معايير شرعية مرنة وصارمة" [47]، ولذلك يدعو إلى عدم التقوقع، وإنما الدخول في حوار مع حضارة الآخر والتعامل مع العلم الغربي أو جوانب منه، بحيث لا يتعارض مع التوجه الإسلامي، وبذلك ينبذ الانغلاق والتقوقع.

ومقابل ذلك، فإن خليل يرفض المنهج المادي الغربي في تفسير التاريخ، وفي معالجة الوقائع التاريخية، والمسألة الحضارية، وفي انتقاده لهذا المذهب المادي؛ لأنه منهج وضعي يقوم على أسس علمانية، تقصي العناصر الغيبية والروحية[48]، وهو كذلك ينتقد التفسير المثالي[49]،والتفسير المادي لماركس وإنكلي[50]، والتفسير الحضاري لتوينبي [51].

---

[45] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ، ص 81.

[46] عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص 234.

[47] عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 23- 94.

[48] عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض،1992م ص 27.

[49] التفسير المثالي: نادى به الفيلسوف الألماني فردريك هيغل وفولتير ويقوم على الإيمان بالعقل والتفكير العلمي ثم السعي إلى تفسير الظواهر التاريخية بالمسببات الطبيعية عن طريق التفسير العقلاني العلمي، انظر: سيد احمد علي الناصري، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، 1979 م،ص32 ،محمد مراد، المدارس التاريخية دراسة نظرية في مناهج البحث وفلسفة التاريخ، مكتبة الفقيه، بيروت،1996، ص191- 193. Hegel's Political Philosophy Problems and Perspectives , Edited by Z.A .Pelczynski Cambridge , University press, London,1976,p30-34

[50] النظرية المادية:هي لكارل ماركس تقوم على العامل الاقتصادي في الصراع الطبقي الذي يعتبره المحرك الأساسي للتاريخ، وتنكر العامل الغيبي والروحي، للمزيد انظر، احمد العوايشه، موقف الإسلام من نظرية ماركس للتاريخ، جامعة أم القرى، مكة

والمسوغات التي يطرحها هي أن التفاسير الوضعية ترفض الغيب والروح، وتنكر وجود الله، فهي بذلك تحجم الإنسان ولا تدفعه للانطلاق خارج المحسوس [52]، فهذه المذاهب الوضعية – على حد قول خليل – قدمت معطياتها بتخطيها الإجابة عن السؤال: ما هي العلاقة بين الله و الطبيعة؟ بما فيها القوى المادية والإنسان، وبالتالي أوجدت فجوة بتركيزها على عامل واحد، وألغت العوامل الأخرى [53]. وعلى هذا الأساس، فإنه يطرح مشروعا ينبثق عن موقف موضوعي شامل" يربط ويوازن ويدرك العلاقة المتبادلة بين سائر القوى التي تصنع التاريخ مادية وروحية وغيبية"[54].

وانطلاقا من ذلك، فإن خليل يرى أن تطبيق المنهج المادي العلماني في دراسة تاريخنا قد أحدث أخطاء ومهازل، وبذلك يطالب بالتوقف عنده، ويطالب المؤرخين المسلمين أن يبداوا من جديد بتقسيم تاريخنا ودراسته وفق منهج إسلامي " يمتلك من الأدوات والإمكانات مما يساعدنا على دراسته وفق تفسير إسلامي"[55]، وهو في ذلك ينسجم مع المؤرخ عبد العزيز الدوري [56].

المكرمة،1982م، برشكينا وزيركين وياكوفيفا ، ما هي المادية التاريخية، دار التقدم، موسكو،1986،ص6–22.

[51] التفسير الحضارية: تفسير توينبي فيرى أن تفسير التاريخ يجب أن لا يعتمد تواريخ الدول القومية أو الأمم المستقلة إنما عليه أن يستمد أصوله من تاريخ الحضارات، ويرى دور التاريخ في التفاعل الخلاق الناجم عن الاستجابة الناجحة للتحدي المقابل، انظر: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، التاريخ وتفسيره وكتابته، الدار السودانية، الخرطوم، 1999 م،ص207، ارنود توينبي، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،1982م.

[52]عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ، ص 90.

[53]المرجع نفسه، ص 91.

[54]عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل، ص 185.

[55]عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي، ص 15.

[56] يقسم عبد العزيز الدوري التاريخ الإسلامي إلى ثلاثة مراحل:

– الحقبة الأولى: بين ظهور الإسلام / مطلع القرن السابع الميلادي والقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

– الحقبة الثانية الكبرى: بين القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، والقرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

ولأن التفسير الإسلامي يقوم على منهج حي وشامل، فإنه يدعو الأكاديميين المسلمين لعرض هذا التاريخ بكل حيوية حتى نصل إلى فهم أعمق ورؤية أوضح، وباعتقاده أن التاريخ الإسلامي سيجد مفاتيحه الضائعة [57]. وهو كذلك يطالبهم أيضاً بالموازنة حتى يدركوا العلاقة المتبادلة بين سائر القيم التي تصنع التاريخ، من أجل تحطيم الأطر المادية للوقائع صوب عالم الشمول وما وراء الحس والاستعلاء على الجزئيات الثقيلة والانطلاق إلى عالم الحركة [58].

ولأنها على حد تعبيره رؤية الذات الإلهية، وقد وضعت التاريخ البشري في مكانها الصحيح " فهي إذن تبلور للخطوط الأساسية لحركة التاريخ، يصوغها القرآن الكريم في مبادئ عامة، يسميها سننا ويعتمدها المفسرون الإسلاميون منطلقاً – لا لتزييف التاريخ – وإنما لتفسيره وفهمه وإدراك عناصره... وبذلك يأخذ صفة الكمال" [59]. ويؤكد أن التفسير الإسلامي بخلاف التفسير الوضعي؛ لأنه يعطي مساحة للغيب ويركز على القانونية التاريخية (الناموسية)، وينظر إلى الحتمية التاريخية البشرية على أنها حتمية الموت، ويطرحها الإسلام على أنها نقلة إلى عالم الخلود [60] [50]، وبنظره عامة فإن الإسلام يدعو إلى التقدم والتحضر، فإن " المنتمين إليه يجدون فرصتهم الحقيقية لذلك، ليس من قبيل الإدعاء والغرور، ولكن من خلال العقل، والتحقق اللذين يحرسهما الإيمان والتقوى ويدفعهما الإحسان إلى المزيد" [61].

إن هذا المشروع الذي يدعو له خليل في أسلمة علم التاريخ هو جهد مشترك منه ومن غيره الذين اجتهدوا في ذلك، وهذا المشروع لم يكتمل بعد، وفي هذا السياق يقول:" مشروع عمل ناقص ومفتوح قد يحتمل الكثير من الإضافات والتعديلات وأعمال الإغناء في المستقبل"

– الحقبة الثالثة: بين القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، والقرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، انظر:عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في علم التاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، 2009، ص253.

[57] عماد الدين خليل،المرجع السابق، ص 15.

[58]عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 13.

[59]عماد الدين خليل، المنظور التاريخي لسيد قطب، ص 59، 75.

[60]عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،الرياض،1992م ص 27.

[61]عماد الدين خليل، مدخل إلى إسلامية المعرفة، ص 66.

[62]، وهذه بالتالي دعوة إلى كل من يريد إغناء هذا المشروع والمساهمة فيه. ولعماد الدين خليل مواقف من الحركة الاستشراقية سواء من ناحية المنهج أو الحكم.

موقفه من الاستشراق:

اهتم عماد الدين خليل بدراسة الحركة الاستشراقية، من خلال كتابه (المستشرقون والسيرة النبوية) [63] وأبحاثه ومقالاته، وينطلق من نظرته إلى هذه الحركة بنظرة موضوعية بأن الحركة الاستشراقية ليست كلها خير ولا كلها شر، فإن " ما قدمه الغربيون عامة، والمستشرقون على وجه الخصوص، يتضمن الأبيض والأسود، إن على مستوى المنهج أو الموضوع، وليس كله سواء، بل إن الرجل منهم قد يتضمن علامة، في نفس الوقت، الأبيض والأسود معاً، لأسباب عديدة منها قوة الجذب ومنها الجهل ببعض المسائل، ومنها التأثيرات الذاتية، والثقافية" [64].

ورغم ما كتب عن الاستشراق سواء من ناحية المنهج أو الحكم فإن خليل يضع هذه الحركة في سياقين: الأول يتمثل بالرفض لهذه الحركة والثاني يتمثل بقبول هذه المعطيات التي طرحتها الحركة الاستشراقية. أما موقف خليل، فإنه يعتمد على المنهج العدل الذي يقوم على " التعامل مع المادة الاستشراقية دون أن يتقبلها بالكلية أو يلغيها من الحساب؛ فعن طريق التبصر الواعي بهذه المادة، وفي ضوء التمحيص العلمي المتأني الدقيق يمكن أن يتحقق الأخذ والرفض" [65].

ويؤكد خليل أنه لابد من اتخاذ موقف من المادة الاستشراقية، ما دام أنها تقوم على جزأين: المنهج والموضوع، ولا بد أن يكون موقفا علميا تجاه معطيات هذه الحركة سواء كانت شرقية أم غربية [66].

---

[62] عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ص 11. ومن منظري الاسلمة:مالك بن نبي، سيد قطب، محمد قطب،وغيرهم.

[63] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق 2005م.

[64] مقالة لعماد الدين خليل، الاستشراق...ملاحظات ضرورية، تاريخ المقالة 6/5/ 2010م. في الموقع: www.islamstory.com/ar.

[65] عماد الدين خليل، حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص 123.

[66] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة، ص 119، والمستشرقون والسيرة النبوية بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغري وات، ضمن كتاب مناهج

ويرى خليل أن الجهود، التي تبذل في دراسة هذه الحركة الاستشراقية، إذا لم يتم التعرف على المنهج الخاطئ الذي تقوم عليه أبحاثهم، فإنها سوف تكون عبثاً وضياعاً للجهد، "فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروطه استطعنا معرفة المنبع الذي يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التي أتت بهذه الثمار المرة واقتلاعها" [67].

ويتساءل عماد الدين خليل: هل هناك منهج استشراقي أم مناهج شتى؟ فيجب بأننا " إذا نظرنا إلى المادة الاستشراقية بوصفها تعاملاً رئويا غربياً مع الشرق الإسلامي، قلنا بأن هناك منهجا استشراقياً... ولكننا إذا نظرنا إلى المادة الاستشراقية في زاوية رؤيتها المميزة – داخل العربي نفسه – أمكننا أن نقول هناك مناهج شتى[68]"

ويؤكد خليل على أن هناك خللا في منهج العمل، بسبب سوء الفهم والأخطاء على مستوى الموضوع في السيرة النبوية، هذه الأخطاء " تنتشر كالبثور على جسد السيرة المسرعة صحة وتماسكاً وعافية، فتشوهه وتنشر على صفحاته البقع والشروخ"، ومع أن خليل يبين أن هناك فرقا بين مستشرق وآخر، فإنه يعتبره فرقا في الدرجة وليس في النوع. فمثلاً، المنهج الذي يعتمده رجل لا هوتي مثل(لا منسى) (Henri Lammens) [69]. يختلف عن المنهج الذي يعتمده (بلياييف) (Evgeni Belyaev) المفسر المادي للتاريخ[70]. ، أو الذي يعتمده

الاستشراق في الدراسات العربية الإسلامية، ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، مصر،1986،ص114.

[67]عماد الدين خليل، الاستشراق ملاحظات.

[68]عماد الدين خليل، الاستشراق والمحصلة النهائية، مقالة في جريدة الغد الأردنية، 17/ 9/ 2005م.

[69]هنري لامسن: (1862–1937م) مستشرق بلجيكي وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، عاش في لبنان، وابرز كتبه، Le Berceau de l'Islam. L'Arabie Occidentale á ala veille de l'Hègire. Le Climat. Les Bèdouins. Rome, 1914 ، للمزيد انظر، عبد الرحمن بدوي، موسوعة الاستشراق، دار العلم للملايين، بيروت، 1984م،ص347–349.

[70]افيني بلياييف: مستشرق روسي ولد عام 1895م، وتخرج من جامعة بترو جراد وعني بدراسة تاريخ الإسلام وأصول الدين، للمزيد انظر، يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت،2004م،ص271.

مستشرق ذو توجه إسرائيلي، أو الذي يعتمده (موئتجمري وات) (William Montgomery Watt) [71]. الذي يحرص على الأكاديمية [72]. وهذا الفرق،كما يراه خليل، هو فرق في الدرجة وليس في النوع، فهذه المناهج التي تقدم تاريخ العالم، ومن ضمنه تاريخنا من زاوية غربية إقليمية، تجعل أوروبا مركزاً للعالم تدور حوله كل المساحات في الأرض [73]، وينطلق خليل في رفضه لهذه المناهج الاستشراقية من أنها عندما تدرس تاريخنا تتحكم فيها عصبيات ورواسب نفسية، ومخلفات ثقافية تاريخية، وأطماع استعمارية سياسية كانت أو اقتصادية، وتحزبات دينية كونها نشأت في حركة استعمارية للعالم الإسلامي[74].

ويرفض خليل كذلك المنهج الاستشراقي؛ لأنه لا يمكن أن يطبق على تاريخنا الإسلامي، وبخاصة السيرة النبوية؛ لأنها غنية بأحداثها، وبناءً على ذلك، فإن خليل يضع ثلاثة شروط من أجل فهم هذه السيرة: "الأول الإيمان واحترام المصدر الغيبي، والثاني اعتماد موقف موضوعي، والثالث تقني ". ومع أنه يؤكد بأن المستشرقين قد أتقنوا الشرط الثالث إلا أنهم " لم يستطيعوا أن يقدموا أعمالاً علمية بمعنى الكلمة لواقعة السيرة، ولا قدروا حتى على الاقتراب؛ من حافة الفهم، بسبب أنهم كان يعوزهم التعامل الأكثر علمية مع احترام المصدر الغيبي واعتماد الموقف الموضوعي" [75].وانتقاد خليل لهذه المناهج،إنما هو من كونها تسعى إلى ترجيح الدافع المادي، وتحجيم الدوافع الروحية، وهم على حد قوله: لا يستطيعون طمسه أو تزييفه.

---

[71] مونتجمري وات: (1909–2006م)، مستشرق بريطاني عمل أستاذ للغة العربية والدراسات الإسلامية، والتاريخ الإسلامي في جامعة ادنبره ، ابرز كتبه محمد في مكة= =Muhammad At Mecea,1953، انظر نجيب العقيلي، المستشرقون، دار المعارف، مصر،1980م.

[72] عماد الدين خليل، الاستشراق والمحصلة النهائية، المرجع السابق.

[73] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ص 8–9، وللمزيد حول ذلك انظر، أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين، دار الجيل، بيروت،1985م.

[74] المرجع نفسه ص 24– 38 ، وللمزيد حول هذا الموضوع انظر، فارق عمر، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية، الأهلية للنشر،عمان، 1998م، Stanley lane-Poole The Mohammadan Dynasties Pak Publishers limited, Karachi 1893.

[75] عماد الدين خليل، دراسات تاريخية، ص 159.

وينتقد خليل المنهج الاستشراقي من خلال ذكر الأخطاء والثغرات التي يقع فيها أصحابه، وهي [76]:

1. المبالغة في الشك والافتراض، والنفي الكيفي.
2. إسقاط الرؤية الوضعية العلمانية، والتأثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية.
3. رد معطيات السيرة إلى أصول نصرانية أو يهودية.

وفي هذا السياق يقول:- "إن معظم المستشرقين النصارى هم من طبقة رجال الدين أو من خريجي كليات اللاهوت، وهم عندما يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة من الإسلام يحاولون جهدهم ردها إلى أصل نصراني[77].

ومنهم من يكون علمانياً مادياً لا يؤمن بالغيب،ومنهم من يكون يهودياً ونصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة المحمدية، ومن أجل ذلك، فإن أعمالهم في السيرة على تآلف بعضها لا يمكن أن تكون جادة،ويؤكد خليل أن في دوائر فكر الاستشراق وبخاصة الغربي منها من قد قدموا منهجا معكوساً في التعامل مع تاريخنا، بمحاولة متعمدة أو غير متعمدة منهم، وذلك لفك الارتباط بين الإسلام والتاريخ [78].

وينتقد عماد الدين مدعي العلمية من الماديين والمستشرقين، ويحذر من يخوضوا في تاريخنا وحدهم حتى "لا يطفوا أضواءه، ويسحقوا زهراته البيضاء"[79]. ومع أن عماد الدين ينتقد المستشرقين، ويكيل لهم التهم؛ لأن كتاباتهم تحمل التزييف، إلا أننا نجد له موقفا آخر يرى أن بعض كتبهم تعترف بقيم الإسلام، وفي هذا السياق يقول:" ولكن ماذا لو أضفنا إلى هذا جهداً آخر يسعى لمتابعة المعطيات الإيجابية والتقاطها، بغض النظر عن أهدافها وعن طبيعة ارتباطها بشبكة الفكر الغربي؛لأنها تحمل قيمتها باعتبارهما اعترافاً بقيمة هذا الجانب أو ذلك من جوانب الإسلام" [80]. ومع ذلك، فإنه يؤكد بأنه ليس بمقدور أي مستشرق على الإطلاق مهما امتلك من ثقافة،

---

[76]عماد الدين خليل، قيمة التاريخ، مقالة في جريدة الدستور الأردنية 2012/12/14م.

[77]عماد الدين خليل، في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، ص 260.

[78]عماد الدين خليل، القرآن الكريم من منظور غربي، التفسير للنشر والإعلان، اربيل، 2008م، ص6.

[79]عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة النبوية، ص 120، الاستشراق...ملاحظات ضرورية.

[6] www.magmj.com/index.jsp ، عماد الدين خليل، حوار في الهموم الإسلامية، ص10.

واعتدال، وحيادية، وموضوعية " إلا أن يطرح تحليلاً للسيرة لا بد أن ترتطم، هنا أو هناك، بوقائعها وبداهاتها ومسلماتها، ويخالف بعضها في حقائقها الأساسية، ويمارس تزييفاً لروحها وتمزيقاً لنسيجها العام [81]. ولعماد الدين خليل مواقف نقدية حول ما كتب عن التاريخ العربي والإسلامي.

وهذه الانتقادات كانت للرد على مطاعن المتعصبين منهم على الإسلام وعلى صاحب الدعوة في نبوته وصلته بالقرآن لدحض أقوالهم وتفنيد افتراءاتهم والكشف عن حقيقة ما يخفون[82].

أسلوبه النقدي:

لقيت كتابات خليل استجابة وتقبلا واهتماما من المثقفين في العالم العربي والإسلامي، ويعود السبب إلى اتباعه أسلوب النقد البناء، وعدم التوقف عند حدود النقد فقط، بل إنه يقدم حلولاً واقتراحات، ونلحظ ذلك حينما نطالع كتبه ومقالاته المنشورة في المواقع الإلكترونية، فهو ينتقد الغزو الفكري، وينتقد معطيات الحضارة الغربية في مقال له " حول العلوم الإنسانية" التي تتعامل مع الإنسان – وخاصة علم التاريخ – في جامعاتنا، ويطالبها بإعادة صياغة هذه المناهج لكي "تجعلها أكثر أصالة، وأقل استسلاما لمعطيات المعرفة الغربية التي لا يستطيع أحد الادعاء بأنها تجاوزت احتماليتها، وبأنها علوم منضبطة وصلت درجة اليقين المطلق" [83]، وفي مقال آخر "رياضة التسلق على الأحزاب" ينتقد فيه سياسة الانتهازية في البلاد العربية للنخب التي تتبع هذا الأسلوب بالانضمام إلى الأحزاب من أجل مصالح ذاتية، فيقول: "إننا نجد من حولنا أناس كثيرين، كانوا يوما مؤمنين متميزين، أو أنصاف مؤمنين، ينساقون بقوة لا تقهر، لممارسة هذه الرياضة اللعينة، مبررين خطيئتهم بألف ذريعة وأسلوب " [84].

ويؤمن كاتبنا بالعدالة والمساواة بين المواطنين جميعا، ومن أجل ذلك يوجه انتقاده إلى الأنظمة السياسية العربية في مقال" لك الله يا أمة العرب" فينتقد الفساد من خلال هدر الأموال من قبل الحكومات، فيقول " أي هدر هذا الذي لا يكاد يبقي لشعوب الأمة شيئا، والذي يبعثر آمالها ذات اليمين وذات الشمال،

---

[81] عماد الدين خليل، رياضة التسلق على الأحزاب، تاريخ المقالة 2012/12/29م،الموقع نفسه.

[82] للمزيد من ذلك انظر : ادوارد سعيد ،الاستشراق المعرفة .السلطة الإنشاء ، ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1981 ، وكذلك ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية،ج 1–2، المنظمة العربية للترجمة والثقافة، تونس،1985م.

[83] عماد الدين خليل، لك الله يا امة العرب، تاريخ المقالة، 2012/3/9م،الموقع www.magmj.com/ index.jsp

[84] عماد الدين خليل، ما الرجعي؟ وما التقدمي، تاريخ المقالة، 2011/2/2م، الموقع نفسه.

بينما هي في مساحات واسعة من الأرض تعاني من الجوع والفقر والمسغبة، ولا نكاد نجد ما يسد جوعها".

ويوجه انتقاده إلى سياسة الاستعمار القديمة والحديثة بقوله" استعمار جديد يحل في رحمة كل مفردات الغزوات الاستعمارية السابقة، ويزيد عليها، وبكل تأكيد فإن القوة عندما تتعرى من كل القيم الإنسانية العادلة والنبيلة، وعندما تتفرد في الساحة، فإنه ليس ثمة ما يمنعها من ممارسة الاستعمار، فثمة ألف صيغة لهذه الممارسة التي كان القوي فيها دائما يأكل الضعيف".

كما يوجه انتقاده إلى المستشرقين ومن ينساق وراءهم حول التعبير الذي يستخدمونه، وذلك في مقال " ما الرجعي ؟ وما التقدمي؟" وبخاصة حول الحركات التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، فيقول: "فأية معايير هذه التي يعتمدها المستشرقون وأذنابهم للحكم على الحركات الفكرية في تاريخنا الإسلامي؟ وهل ثمة قيم موضوعية عادلة تنطوي عليها وتسوقها إلى مواقع الصدق الذي يمكن التسليم به، أم العداء المغروس في جبلتهم لهذا الدين".

ويوجه انتقاده إلى النظام العالمي الجديد،والعولمة،وبخاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تعريف الإرهاب، فيقول: "يراد للقاموس المتفق عليه أن يلغي، وأن يحل محله قاموس جديد لا يملك أي عمق تاريخي أو عرف دول، مما اتفق على قرون متطاولة، قاموس ينطوي على كل المفردات التي تتيح للقطب الأحادي المتمثل في الولايات المتحدة أن يمسك برقاب العالم، وأن يمضي كلمته التي لا بديل لها على شعوب الأرض، وأن يعتبر كل مقاومة مشروعة عملا إرهابيا يستحق الملاحقة والتصفية" [85].

كما يوجه انتقاده إلى الولايات المتحدة حول سياساتها في المنطقة العربية حول ما يعرف بالأرض مقابل السلام، في مقال " حول معجزة الانتفاضة" وينتقد ما قامت به إسرائيل من إيجاد ما يسمى بسلطة الحكم المحلي، فيقول: " ما هو إلا سراب خادع لن يأتي بنتيجة أو يتمخض من شي ولسوف يتفكك بمرور الوقت، ويفقد القوة على تقديم وعد جاد بغطاء للفلسطينيين يمنحهم الأمن والدولة ويعيد القدس إليهم، ويرجع باللاجئين إلى ديارهم..ما دامت السلطة نفسها من إنتاج المكر الصهيوني" [86]، ولعماد الين مواقف نقدية حول الاستشراق الغربي من السيرة النبوية؛ لأنه غير موضوعي في إطار ديني صرف متسرع بالتعصب والحقد [87]، ومواقف نقدية للحضارة الغربية بسبب جنوحها المادي التي أدت إلى الشقاء والتعاسة للبشرية، ولأن الحضارة الغربية لم تسمح قط إعطاء العلوم لأيدي وعقول الأمم الأخرى إلا لمن يحسبونه امتدادا لهم، بعكس الحضارة الإسلامية التي قدمت حضارة راقية للعالم.

---

[85] عماد الدين خليل، المستشرقون والسيرة، ص 19، 25.

[86] عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص314-315

[87] عماد الدين خليل، تحليل التاريخ الإسلامي، ص264

الخاتمة:

بالعودة إلى الأسئلة، التي تم طرحها في مقدمة البحث، انتهي إلى التوصل إلى النتائج التالية:

أولاً: أن المنهج الذي يطرحه عماد الدين خليل في دراسة التاريخ منهج يقوم على التجديد والإبداع والعطاء، منهج شمولي ينظر إلى التاريخ بنظرة شمولية، والابتعاد عن التفاصيل والجزئيات، منهج يخرج المؤرخ من القيود الأكاديمية التي أسرته، منهج يمكن من خلاله التفوق على الخصوم والأعداء.

ثانياً: مفهوم أسلمة علم التاريخ عند عماد الدين خليل يقوم على إعادة صياغة التاريخ من منظور إسلامي، اعتماداً على القران الكريم الذي خصصت مساحة كبيرة من سوره للمسألة التاريخية.

ثالثاً: الدوافع التي دفعت عماد الدين خليل للدعوة لأسلمة علم التاريخ تنظيرا وعملا، من أجل صياغة تاريخنا الإسلامي، وبخاصة السيرة النبوية، التي شوهت من قبل الغرب ومن الذين اتبع منهجهم.

رابعاً: يرفض عماد الدين خليل تطبيق المنهج الاستشراقي على التاريخ الإسلامي، وخاصة السيرة النبوية؛ لأن هذا المنهج علماني مادي لا يؤمن بالغيب، والبعض مّمن يتبع هذا المنهج يكون غير موضوعي؛ لأنه يكون لديه حكم مسبق.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن خلدون(1986) مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط6 .
3. إبراهيم ،عبد العزيز عبد الغني(1999م)، التاريخ وتفسيره وكتابته، الدار السودانية، الخرطوم.
4. بدوي؛عبد الرحمن (1984م): موسوعة الاستشراق، دار العلم للملايين، بيروت،ط1.
5. توينبي؛ ارنود (1982م): تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،ط2.
6. الجمل؛ شوقي (2010م) :علم التاريخ نشأته وتطوره ووضعه بين العلوم الأخرى ومناهج البحث فيه، مكتبة الانجلو، القاهرة.
7. الجندي؛ أنور (1985م): سموم الاستشراق والمستشرقين، دار الجيل، بيروت،ط2.
8. حاج حمد؛ محمد أبو القاسم (2003م): منهجية القران المعرفية أسلمة العلوم الطبيعية والإنسانية، دار الهادي، بيروت.
9. خليل؛ عماد الدين(1971):عماد الدين زنكي" (487- 541هـ / 1097- 1410م)، الدار العربية، بيروت،ط1 .
10. خليل؛ عماد الدين (1980م): الإمارات الأرتقية في الجزيرة الفراتية والشام (465- 813 هـ/ 1072 – 1410م)،مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1.
11. خليل؛ عماد الدين (1985م): ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7.

12. خليل ؛عماد الدين (1986 م): حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، دار الثقافة، قطر.
13. خليل ؛عماد الدين (1985م) : في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، مطبعة الزهراء، الموصل،ط1.
14. خليل؛ عماد الدين (1992م): قالوا عن الإسلام ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
15. خليل ؛عماد الدين (2005م): مدخل إلى التاريخ والحضارة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط1.
16. خليل ؛عماد الدين (2005م): في التاريخ الإسلامي، فصول في المنهج والتحليل، دار ابن كثير، دمشق.
17. خليل ؛عماد الدين (2005م): دراسات تاريخية، دار ابن كثير، دمشق، ط1.
18. خليل ؛عماد الدين (2002م): الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين، دار الفكر، دمشق،ط1.
19. خليل ؛عماد الدين (2002م): ريبورتاج.. حوار في الهموم الإسلامية، دار الحكمة، لندن،ط1.
20. خليل ؛عماد الدين (1989م): مؤشرات إسلامية في زمن السرعة، دار الأنبار، بغداد.
21. خليل ؛عماد الدين(1991م): مدخل إلى أسلمة المعرفة مع مخطط مقترح لأسلمة علم التاريخ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا.
22. خليل؛ عماد الدين (1981م) :التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.
23. خليل ؛عماد الدين (1994م): المنظور التاريخي في فكر سيد قطب، دار القلم، دمشق.
24. خليل ؛عماد الدين (2005م): مدخل إلى الحضارة الإسلامية المركز الثقافي العربي المغرب، الدار البيضاء.
25. خليل ؛عماد الدين (2008م) : القرآن الكريم من منظور غربي، التفسير للنشر والإعلان، اربيل.
26. خليل ؛عماد الدين (1986م): المستشرقون والسيرة النبوية، بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر مونتغري وات، ضمن كتاب مناهج الاستشراق في الدراسات العربية الإسلامية، ج1، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، جامعة الدول العربية، مصر،.
27. خليل ؛عماد الدين (2005م): المستشرقون والسيرة النبوية دار ابن كثير، دمشق، ط1.
28. الدوري، عبد العزيز(2009م) : أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في علم التاريخ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2.
29. سعيد ؛ ادوارد (1981م): الاستشراق. المعرفة .السلطة .الإنشاء ، ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1.
30. العوايشه؛ احمد (1982م): موقف الإسلام من نظرية ماركس للتاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
31. عبد القادر ؛عثمان (1993م) : أسلمة العلوم الإنسانية، دار الكتاب العربي، بيروت.

32. عمر؛ فارق (1998م): الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) دراسة مقارنة بين وجهة النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوروبية، الأهلية للنشر،عمان.

33. العقيلي؛ نجيب (1980م): المستشرقون، دار المعارف، مصر.

34. قطب؛ محمد (2006م): حول التفسير الإسلامي للتاريخ، دار الشرق، القاهرة،ط1.

35. مراد؛ يحيى (2004م): معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت.

36. مراد؛ محمد (1996م): المدارس التاريخية دراسة نظرية في مناهج البحث وفلسفة التاريخ، مكتبة الفقيه، بيروت، ط1.

37. مؤنس؛ حسين (1984م) : التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ وأهميته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل العرب وأعلام كل مدرسه وبحث في فلسفة التاريخ ومداخل إلى فقه التاريخ، دار المعارف، القاهرة.

38. الناصري، سيد احمد علي (1979م): فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه،ط1، دار النهضة العربية، القاهرة.

الصحف:

(1) جريدة الغد الأردنية، 17/ 9/ 2005م.

(2) جريدة الدستور الأردنية، 2012/12/14م

المجلات:

(1) خليل؛ عماد الدين (1975م): في التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة المسلم المعاصر العدد 1، ص 2.

(2) خليل ؛عماد الدين (1976م) : في التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة المسلم، ص12.

(3) خليل ؛عماد الدين (1975م): في التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، العدد 1، 2.

المراجع الأجنبية:

1. Hegel's Political Philosophy Problems and Perspectives , Edited by Z.A .Pelczynski Cambridge , University press, London,1976
2. Carr ,E,H,(1981) Penguin Book, London. What is History
3 .Le Berceau (1914)de l'Islam. L'Arabie Occidentale á ala veille de l'Hègire. Le Climat. Les Bèdouins. Rome,.
4 .Stanley lane-Poole (1893) The Mohammadan Dynasties Pak Publishers limited, Karachi.

المواقع الالكترونية

1. www.magmj.com/ index.jsp
2. www.islamstory.com/ar.